

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة كتاب " العيش مع الله "

للدكتور حسان شمسي باشا

العيشُ مع الله ..  
ليس أن تنعزل عن الناس ..  
أو تبتعد عن خوض الحياة ..  
أو تهجر إعمار الأرض ..  
فأنت خليفةُ الله في أرضه ..  
العيشُ مع الله .. أن تكون مع الله ..  
في حِلِّك وترحالك ..  
ألاّ يغيب عن قلبك ذكره ..  
أن تدرك يوماً .. أنك ستلقى الله .. وأنك إليه راجع ..  
العيش مع الله ..  
ألاّ تنسَ أن وجهتك الحقيقية .. هي درب الله ..  
وأن الحياة الدُّنيا سفرٌ قصير . مهما طال بك العمر ..  
وعندما نعيش مع الله بكل معاني الحب وآثاره ..  
سنجد نفوسنا هائنة .. وقلوبنا مطمئنة ..  
في قلوبنا أنسٌ وسكون ..  
وفي أرواحنا .. ذلٌ وخضوع ..  
وفي محراب عبادته .. رضًى وسعادة ..  
لأننا عشنا مع الله حبيينا ..

مع الله ربنا.. مع الله راحمنا..  
مع الله اللطيف بنا..  
مع الله المحسن إلينا..  
مع الله الضاحك إلينا..  
مع الله الجواد الكريم المعطاء..  
هكذا سنكون معه في جنةٍ تعبُدية.. جنة عبِدٍ مع معبوده..  
فجنةُ العيش مع الله .. ستكون أجمل من جنة العيش في نعيم الله..  
لأن تلك الجنة.. ليست إلا لمن تنعم بجنة العيش مع الله..  
ولا يعني ذلك إغفال جانب الخوف من الله ..  
ولا نسيان الترهيب أمام الترغيب..  
ولا الوعيد أمام وعد الله عباده المتقين..  
فما أجملنا حينما نعيش مع الله بالحب..  
بالرغبة في رضاه.. بالشوق إليه..  
بالجمال والفرح.. بالأنس والسرور..  
ما أجملنا حينما نعيش مع الله ..  
لأنه الصاحبُ في الحياة..  
ووليكَ في الحياة.. وبعد الممات..  
ما أجملك وأنت تعيش لله..  
تستيقظ وقلبك مُعلق بالله..  
تذهب لعملك.. وقلبك متوكّل على الله..  
تنام.. وقلبك مُطمئنٌ بالله..  
لا يشغلك شيءٌ في سائر يومك إلا الله..  
نفسك هادئة بذكر الله..  
وقلبك عامرٌ بسكينة القرآن..

لا تخشى نوائب الدهر..  
لأنك مُتَيِّقِنَ أَنهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ..  
ولا يُزْعِجُ ثَبَاتَكَ شَيْءٌ..  
لأنك أويتَ إِلَى رُكْنِ رَشِيدٍ..  
مَنْحَ الْقُرْآنِ قَلْبَكَ قُوَّةً وَيَقِينًا..  
فاسْتَعْنَتِ بِخَالِقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ..  
فَكَمْ مَرَّةً أَحَاطَ بِكَ خَطَرٌ مُحْدَقٌ؟..  
وَكَمْ مَرَّةً شَرَدْتَ عَنِ الطَّرِيقِ..  
وَكَدْتَ أَنْ تَرْتَكِبَ مَعْصِيَةَ تَخْسِرُ فِيهَا دِينَكَ وَدُنْيَاكَ..  
ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَ اللَّهَ وَأَنْبَتَ إِلَيْهِ..  
وَكَمْ مَرَّةً كَادَتْ سَيَارِئُكَ أَنْ تَصْطَدِمَ أَوْ تَنْقَلِبَ..  
ثُمَّ أَنْقَذَتْكَ عَنَّا اللَّهُ؟  
بَلْ إِنْ رَحِمَهُ اللَّهُ تَفِيضَ عَلَيْكَ حَتَّى تَحْتَوِيكَ..  
أَلَيْسَ صَرْفُهُ الْأَذَى عَنكَ عَنَّا وَرَحْمَةً؟..  
أَلَيْسَ شَفَاؤُهُ لَكَ مِنْ مَرَضٍ أَلَمَّ بِكَ.. أَوْ دَرَأُهُ عَنكَ.. عَنَّا وَرَحْمَةً؟  
ثُمَّ أَلَيْسَتْ الزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ.. وَالْأَوْلَادُ الْبَرَّةُ..  
وَالْقَنَاعَةُ وَالسُّتْرُ.. وَكَثِيرٌ مِمَّا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ.. عَنَّا وَرَحْمَةً؟  
فَكُنْ مَعَ اللَّهِ..  
فَلَا جَزَعٌ مِنْ مَرَضٍ.. وَلَا هَلَعٌ مِنْ مُصَابٍ..  
فَاللَّهُ يَحْمِيكَ..  
وَمَادَامَ فِي السَّمَاءِ مَنْ يَحْمِيكَ.. فَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ مَنْ يَكْسِرُكَ!  
أَتُخَنِّئُ الْحَيَاةَ وَأَنْتَ رَبِّي..  
وَأَنْتَ اللَّهُ فِي ضَعْفِي وَكَرْبِي..  
وَأَنْتَ مُقَدِّرُ الْأَقْدَارِ عَدْلًا..

رحيمٌ تحوي باللُّطفِ قلبي..  
يقول الإمام ابن الجوزي:  
"وأطيب العيش عيشٌ من يعيش مع الخالق سبحانه..  
فإن قيل : كيف يعيش معه؟  
قلتُ: بامتنال أمره.. واجتناب نهيهِ..  
ومراعاة حدوده.. والرضا بقضائه..  
وحسن الأدب في الخلوة.. وكثرة ذكره..  
وسلامة القلب من الاعتراض في أقداره..  
فإن احتجت.. سألته..  
فإن أعطى.. وإلا.. رضيت بالمنع..  
وعلمت أنه لم يمنع بخلاً.. وإنما نظراً لك..  
ولا تنقطع عن السؤال.. لأنك تتعبد به..  
ومتى دمت على ذلك.. رزقك محبته.. وصدق التوكل عليه..  
فصارت المحبةُ تدلك على المقصود.. وأثمرت لك محبته إياك..  
فحينئذ تعيش عيش الصديقين"<sup>1</sup>.  
مع الله في القلب لما انفطر..  
مع الله في الكسر لما انجبر..  
مع الله حين المصاب الأليم..  
مع الله في الحق لما انتصر..  
مع الله في الدمع لما هما..  
مع الله عند احتدام الخطر..  
يقول أحد السلف :

---

<sup>1</sup> صيد الخاطر (١/٤٦٤)

"كنتُ أعتقد أن العبد هو الذي يُحِبُّ الله أولاً.. حتى يُحِبُّه الله.. حتى قرأتُ قولَ الله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ

يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾

فعلمتُ أن الذي يُحِبُّ أولاً هو الله ..

وكنتُ أعتقد أن العبد هو الذي يتوب أولاً.. حتى يتوب الله عليه.. حتى قرأتُ قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَابَ

عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾ ..

فعلمتُ أن الله هو الذي يلهمك التوبة حتى تتوب.

وكنتُ أعتقد أن العبد هو الذي يُرضي الله أولاً.. ثم يرضى الله عنه..

حتى قرأتُ قوله تعالى : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾

فعلمتُ أن الله هو الذي يرضى عن العبد أولاً. "

وحينما تقرأ: "يُحِبُّهُمْ و يحبونه" .. تقف متدبراً عند "يُحِبُّهُمْ" ..

و ينتابك شعورٌ "ياليتني منهم!" ..

ولكن .. ماذا فعلتَ اليوم ليجبكَ الله؟.

أحبُّ الله عن أدبٍ وصدقٍ ..

ولا أرضى سوى التقوى خِلاقي ..

وكيف أحبُّ غيرَ الله يوماً ..

وليسَ سِواه في الأكوامِ باقي ..

وكلُّ سعادة في الحياة قابلة لرحيل ..

إلا سعادة قربك من الله ولذة الطاعات ..

وفي كل خيرٍ تعمله .. كَررها في نفسك: ﴿ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ ..

ولا تنتظر جزاءً ولا شكراً من أحد !

علّق قلبك بربك .. فهو وحده .. يجزيك خيرَ جزاء ..

وهو الذي يعيدُ قلباً زاغ إلى الصواب .. وسعادةً غابت في السراب ..

يعيدُ عافيةً سُلبت .. وأرزاقاً قَلت ..

فثق بربك .. وتذكّر قوله تعالى ﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيد ﴾ ..

وستَبَحْثُونَ عنِ الرّاحةِ .. فلنَ تَجِدُوهَا إلا في الصّلاةِ ..  
وستَبَحْثُونَ عنِ الطمأنينةِ .. فلنَ تَجِدُوهَا إلا في ذِكْرِ اللهِ ..  
وستَبَحْثُونَ عنِ السعادةِ .. فلنَ تَجِدُوهَا إلا في حُبِّ اللهِ ..  
ستَبَحْثُونَ وتَبَحْثُونَ ..

ولن تَجِدُوا الحياةَ إلا مَعَ اللهِ .. وفي اللهِ .. و باللهِ ..  
فكونوا مَعَ اللهِ .. فما أطيب العيش مَعَ اللهِ ! ..  
ولولا ساعة أدعو إلهي

بها .. في خلوتي أو في صلاتي .  
لأظلمت الحياةَ .. ولست أدري ..  
بغير اللهِ .. ما شكل الحياةِ؟! (محمد المقرن)  
وأخيراً ..

ويكفيني من الدنيا جمالاً ..  
دعاءً مِنْ مُحِبِّ دونِ عِلْمِي ..  
يُنَاجِي اللهُ .. يسألهُ هَنَائِي ..  
ويُرْسَلُ في الدُّجَى لله اسمي ..  
فلا تنسوني من دعائكم ..  
اللهم اجعل عملي كله في رضاك ..  
وعلمي نافعاً للناس ..  
وسلوكي دعوةً إليك ..  
والحمد لله رب العالمين ..

حسان شمسي باشا